الأساليب الفنية والتقنية لتمثيل الأشجار في التصوير المعاصر. (دراسة تحليلية نقدية)

THE ARTISTIC STYLES AND TECHNIQUES FOR REPRESENTING TREES IN CONTEMPORARY PAINTING. (CRITICAL ANALYSIS STUDY)

رانيا الحلو [١]
قسم التصوير – كلية الفنون الجميلة – جامعة حلوان، ج.م.ع
قسم الفنون الجميلة- وسائط مختلطة – كلية الفنون والتصميم – الجامعة البريطانية في مصر- ج.م.ع [(١)]

Rania Elhelw [1]
Painting Department, Faculty of Fine Arts, Helwan University, Egypt
Fine Art – Mixed Media, Faculty of Art and Design, The British University in Egypt, Egypt [(1)]
rania.elhelw@f-arts.helwan.edu.eg, rania.elhelw@bue.edu.eg [1]

الملخص

يحمل رمز الشجرة نفس المعاني في مختلف الثقافات حول العالم، فهي رمز للحياة والنمو والتجدد سواء ظهرت في مناظر حضرية أو ريفية؛ ومع ذلك تم تشكيل تمثيلاتها في فن التصوير من خلال موضوعات ذات سياقات تاريخية وثقافية مختلفة، مثل تصوير موضوعات المناظر الخلوية، أو في خلفيات طبيعية لموضوعات مختلفة، أو كبطل رئيسي في العمل الفني. في كل الأحيان هي ترمز إلى العديد من الأفكار كرخاء أو اضمحلال حياة الإنسان في موضوعات اجتماعية، أو كاستعارة للنمو والصحوة الروحية في موضوعات ذات طابع ديني، وفي أحيان أخرى للتعبير عن قضايا بيئية معارضة للتأثير الضار بالبيئة الناتج عن الممارسات الخاطئة وانتشار قوة التصنيع حول العالم. أدى اختلاف الموضوعات التي تم تصوير عنصر الشجرة بها منذ بدء التاريخ إلى إنتاج أنماط فنية مميزة منها الواقعي ومنها التجريدي سواء بتقنيات التصوير التقليدية أو بوسائط تكنولوجية متطورة. هذا البحث معني بطرح الأساليب الفنية والتقنية لدى بعض المصورين المعاصرين في تناول الشجرة كعنصر تشكيلي ورمزي في القرن الواحد والعشرين والموضوعات التي يتطرقون إليها.

الكلمات المفتاحية

المناخ؛ الرمزية؛ البيئة

ABSTRACT

The tree symbolizes life, growth, and regeneration in different cultures worldwide, regardless of its appearance in urban or rural landscapes. However, its depiction in paintings has been shaped through different historical and cultural contexts, such as natural landscapes, nature backgrounds for various subjects, or as a main subject in the artwork. In any case, they symbolise many ideas such as prosperity or decay of human life in social contexts, serve as a metaphor for spiritual growth and awakening in religious ones, and at other times as expressions of environmental issues opposing the effect of harmful practices and the widespread industrialisation around the world. The different themes surrounding the tree as an element throughout history have led to the production of distinctive artistic styles, both realistic and abstract, employing traditional painting techniques or new technological media. This research focuses on artworks by some contemporary painters who explore the tree as a plastic and symbolic element in the twenty-first century and the topics they address through different artistic and technical approaches.

KEYWORDS

Climate; Symbolism; Environment

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

١. المقدمة

يهدف هذا البحث إلى استكشاف التطور التاريخي الذي طرأ على عنصر الشجرة بصريا وجماليا ورمزيا، من خلال طرح الأساليب الفنية والتقنية لدى بعض المصورين المعاصرين في القرن الواحد والعشرين والموضوعات التي يتطرقون إليها. يقدم هذا البحث عرضا لكيفية تجاوز موضوعات تصوير الأشجار كأحد مكونات أعمال المناظر الطبيعية من الجانب المادي، إلى مفاهيم أكثر ارتقاء مثل الاهتمام بالتراث الطبيعي في المواقع الطبيعية المختلفة، ولتوضيح علاقة الانسان بالطبيعة، ولتسليط الضوء على القضايا البيئية، وكل ما قد تحمله الأشجار من معاني. أما مشكلة البحث فتكمن في إيجاد مصادر علمية لتوثيق وعرض أهم الأساليب الفنية المعاصرة في تصوير الموضوعات المختلفة التي تم استخدام الشجرة كعنصر تشكيلي ورمزي للتعبير عن الأفكار المطروحة بها. أما عن فروض البحث فإن الأشجار قد لعبت دورا هاما في العديد من موضوعات أعمال الفنون البصرية بشكل عام وفي التصوير بشكل خاص منذ قدم التاريخ وحتى الوقت الراهن في التصوير المعاصر، وعادة ما ترتبط بالمعاني الرمزية التي تغيرت بمرور الزمن وتعدد الثقافات، وذلك سواء تم تصويرها بأساليب واقعية أو تجريدية، أو باختلاف تقنيات التصوير سواء التقليدي منها أو باستخدام الوسائط الحديثة المتطورة. لذلك، من خلال المنهج التحليلي النقدي سوف يتناول البحث نماذج أعمال من التصوير المعاصر خلال العقد الأخير من القرن العشرين إلى عشرينات القرن الواحد والعشرين في أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية، وجمهورية مصر العربية. وترتكز أهمية البحث في التأكيد على الدور الحيوي لتصوير الأشجار في تشكيل علاقة الانسان بالطبيعة وتأثير النشاط البشري عليها، فالأعمال الفنية تساهم في نشر الوعي بالثقافة البيئية وقضاياها والتطرق لأهمية وجود الأشجار، سواء بشكل طبيعي لدعم الاتزان البيئي وتعزيز الاستدامة، أو بشكل جمالي فيما يحيط بالإنسان للحفاظ على صحته الجسدية والنفسية.

٢. علاقة الإنسان بالأشجار بين الخيال والعلم

قبل البدء في تناول الأعمال الفنية يجب الإشارة لعلاقة الإنسان بالأشجار من وجهة نظر المفكرين والعلماء لاستيعاب مدى أهمية وجود الأشجار في هذا العالم. أشار الكاتب والشاعر السويسري «هرمان هيسه/ Herman Hesse» (١٨٧٧-١٩٦٢م) إلى أن الأشجار بمثابة ملجأ لبني الإنسان، فأننا إذا تعلمنا كيفية الاستماع إلى الأشجار والتواصل معها، فسوف نتعلم منها دروسا شتى عن الانتماء وحقيقة الحياة، وسوف تصير أفكارنا في إيجاز وسرعة أفكار الأطفال مما يحقق لدينا متعة لا تضاهى.(Being With Trees, 2021) . أما الإنسان المعاصر فله رؤية مخالفة تماما، فهو لا يعتبر نفسه جزء من كل، ولكنه هو الكائن الوحيد الذي يدور حوله كل شيء أو كائن آخر. فهو يلغي طبيعة العالم السليم ويتركها مشوهة وضعيفة بالخراب الذي يحدثه؛ وإن كان الإهمال قد طال الحيوانات بقدر ما، فالنباتات قد لحق بها ما هو أكثر من ذلك. فالبشرية الحديثة مصابة بحالة تسمى بـ (عمى النباتات/ plant-blindness)، والتي قد عرفها عالمان النباتات «جيمس واندرسي/ James Wandersee» و«إليزابيث شوسلر/Elisabeth Schussler » بأنها "عدم قدرة الإنسان على رؤية أو ملاحظة النباتات في بيئته الخاصة المحيطة به، مما يؤدي إلى عدم القدرة على التعرف على أهمية النباتات سواء في المحيط الحيوي به أو حتى في الشؤون الإنسانية أو الثقافية، فالنباتات في الغالب ما أصبحت تُعامل كعناصر من الأثاث البيئي وليس أكثر. (Schoene, 2022)

كما أوضحت أيضا كلتا عالمتين فسيولوجيا النبات والتطور البيئيي «مونيكا جاليانو/ Monica Gagliano» و«باتريشيا فييرا/ Patrícia Vieira»، والباحث في العلوم الإنسانية البيئية والدراسات النباتية «جون ريان/ John Ryan»، بأنه من المتوقع لاحقا أن تظهر النباتات صفات شبيهة بالحيوان من أجل أن يتم الاعتراف بها ككائنات حية وحساسة عوضا عن التقدير الذي تستحقه في الساس ككائنات ذات صفات خاصة في حد ذاتها مختلفة عن عالم الحيوان. تفترض هنا الروائية البريطانية «جيني ديسكي/ Jenny Diski» أن المشكلة تكمن في أن النباتات لا تبدو متشابهة مع البشر من حيث الشكل، مما يشكل صعوبة بالنسبة للإدراك البشري الذي يضع نفسه في مركز العالم أمام أي مبادرة بسيطة لأنسنة الأشجار. ومع ذلك، فإن هذه المبادرات في حد ذاتها هي بالضبط الوسيلة نفسها التي أعطت الأشجار فرصة لإعادة التجذر في الخيال الشعبي لدى البشر مؤخرا. من الجدير بالذكر أيضا أن هذا التصور الخيالي والذي قد يعتبره البعض تصورا خرافيا، قد تم مؤخرا دعمه بأسلوب علمي، من خلال دراسات عالم الغابات «بيتر وولبين/ Peter Wohlleben» في كتابه (الحياة الخفية للأشجار/ The Hidden Life of Trees) في عام ٢٠١٥م؛ وفيه يطرح العالم أن الأشجار تشبه البشر أكثر بكثير مما يمكننا أن نتخيل؛ فهي مخلوقات لها عالمها الخاص ولكل منها دورا ما وصفة في الغابات مثلما يوجد في المجتمعات البشرية، فهي تكون فعليا وليس مجازيا كالأصدقاء لبعضها البعض، ومنها" أمهات الأشجار، ومنها المُعلمات... إلخ. (Ibid. Schoene, 2022)

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

يتفق مع الرأي السابق رأي عالمة الغابات الكندية «سوزان سيمارد/ Suzan Simard»، المنشور في كتابها (البحث عن الشجرة الأم/ Finding the Mother Tree) عام ٢٠٢١م، الذي يشير إلى أن أشجار الغابات تعيش معا في مثل المجتمعات المدنية، ولها ذكائها الخاص الذي يجعل لديها سلوكيات شبيهة بالبشر. فعلى سبيل المثال، تقوم الشجرة الأم بحماية الأشجار الصغيرة الأخرى وتساعدها إن مرضت، ويمكنها إرسال إشارات التعرف على ما هو مفيد لها، وإشارات أخرى للتحذير مما هو ضار، وذلك بنفس سرعة المكالمات الهاتفية لدى البشر. وعندما تموت الأشجار الأم - التي تعتبر بدورها عمد الغابات وأقطاب الاتصالات في شبكة مهيبة الحجم- فإنها حسب تعبير سيمارد، تنقل الحكمة المكتسبة إلى أقاربها جيلا بعد جيل، وتتشارك معها المعرفة بكيفية التكيف والبقاء على قيد الحياة في مشهد دائم التغير. وأخيرا تضيف سيمارد أنه «من المستحيل تجاهل الأدلة العلمية: الغابة موصولة بالحكمة والحس والشفاء»، وأخيرا علقت بأنها قد قامت بتأليف هذا الكتاب لنعرف نحن كبشر كيف يمكن للأشجار أن تنقذنا وليس بالعكس. (Simard, 2021.)

هذا يجعلنا ننطلق لموضوع التغير المناخي وما تسبب في ظهور مجموعة من المصطلحات ذات الصلة التي يمكن اعتبارها متلازمات نفسية مثل (القلق المناخي)، و(القلق البيئي)، و(الشلل البيئي)، و(الحزن المناخي). وهنا يشير الفيلسوف البيئي «جلين ألبريخت/ Glenn Albrecht» إلى مصطلحين من صياغته، أولهما متلازمة (السايكوتيراتيك/ Psychoterratic)، وهي الحالات العقلية الناشئة عن علاقة الإنسان بالأرض والطبيعة. ثم يندرج تحت المتلازمة السابق ذكرها ثاني مصطلح، وهو حالة (السولاستالجيا/ Solastalgia)، وهي تضم في الشق الأول منها الكلمة اللاتينية (سولاسيوم/ sōlācium) لمعنى (الراحة)، مع جذر الكلمة اليونانية (-الجيا/ algia-) التي تعني (الألم) في الشق الثاني منها. (Albrech, 2018). والأخيرة عبارة عن حالة نفسية تشير إلى نوع من الحنين إلى الماضي والضيق الذي يواجه المرء عندما تتغير البيئة المحيطة به والمألوفة لديه حتى وإن كان مازال في نفس منزله، أو مدينته... إلخ. ولم يعد المكان يريحه كما سبق أن اعتاد عليه، فهي تعد كتجربة الخسارة لدى أصحاب تلك الحالة وقد يكون من الصعب جدا عليهم وصفها بالكلمات. (Lewis, 2018)

٣. دور العمل الفني في التوعية بالأهمية البيئية للأشجار

تظهر الأشجار كثيرا في الفن المعاصر، ولا سيما في التصوير لتمثيل العديد من القيم المتعددة منها الثقافية والروحية. فالأشجار هي هياكل مذهلة لها ذات جذور عميقة تم تبجيلها في العديد من الثقافات، وحملت معاني مختلفة في الأساطير القديمة والمعتقدات الدينية المختلفة عبر التاريخ. فيقوم الفنانون باستخدام رمزية الأشجار للتواصل مع تراثهم الثقافي وإنشاء أعمال فنية تتحدث عن التجارب الإنسانية والحالات المزاجية والعواطف المختلفة من الحزن إلى الأمل والفرح. وفي أحيان أخرى كرمز الاستدامة والأمل وجمال الطبيعة التي يجب الحفاظ عليها والتي أصبحت مهددة بشكل متزايد في عالمنا اليوم. فتظهر كعناصر تشكيلية في تصوير القضايا البيئية المختلفة مثل إزالة الغابات والاحتباس الحراري والتلوث بأنواعه، حتى أصبح الوعي البيئي أمرا حاسما في التصوير المعاصر. ففي الزمن الراهن دوما ما تتعرض الموارد الحيوية للأرض للتهديد، بما في ذلك الأشجار، والتي يعتمد بقاؤها على وعي البشر، فالأشجار من المكونات الأساسية لاستمرارية الوجود البشري لأنها تزودنا بالأكسجين وتنقي الهواء وتقوم بتلطيف حرارة الجو كما توفر المأوى للعديد من الكائنات الحية أيضا، فأصبح موضوع تصوير الأشجار والحفاظ عليها من الموضوعات المهمة للفن المعاصر حيث يسعى الفنانون جاهدون لخلق الوعي بالقضايا البيئية وتعزيز الاستدامة لتثقيف الجمهور حول الأضرار المتزايدة التي تلحق بالبيئة وتأثير الثورة الصناعية على الطبيعة، وفي الفقرات التالية عرض لبعض النماذج منها.

١,٣ الحركة الفنية المعاصرة (الشجريون) (The Arborealists)

تم تشكيل مجموعة (الشجريين) Arborealists الفنية في عام ٢٠١٣م كحركة فنية بيئية تهدف إلى الحفاظ على البيئة، وهم أول حركة فنية معاصرة في القرن الواحد والعشرين تتخذ الشجار والقضايا البيئية الخاصة بها كموضوع حيوي ومركزي لها. تكونت تلك الحركة الفنية بعد النجاح الحاسم لمعرض (تحت الغابة الخضراء: تصوير الشجرة البريطانية/ Under the Green Wood: Picturing the British Tree)، الذي شارك في تنسيقه القيم الفني والفنان «تيم كرافين/ Tim Craven» مع «ستيف مارشال/ Steve Marshall» و«آن أندرسون/ Anne Anderson» في متحف (سانت بارب ومعرض الفنون/ St Barbe Museum and Art Gallery)، في (ليمنجتون) بمقاطعة (هامبشاير). يتكون هذا المعرض من جزئين متميزين؛ الجزء الأول عبارة عن مراجعة تاريخية للفنانين الذين شغلوا أنفسهم برسم وتصوير الأشجار والمناظر الطبيعية للأشجار ومن بينهم «جون كونستابل/ John Constable» و«بول ناش/ Paul Nash» على سبيل المثال، بجانب فنانين مشهورين آخرين من القرنين التاسع عشر والعشرين. بينما ضم الجزء الثاني من المعرض تنوعا كبيرا في الممارسات الفنية حيث تم عرض عمل واحد لكل من إثنين وثلاثين فنان بريطاني معاصر – من بين أربعة وأربعين من أعضاء المجموعة- يختلفون في درجات الشهرة، فأحدهم كان مرشحا لـ(جائزة تيرنر/ Turner Prize) واثنين آخرين من (الأكاديمية الملكية/ Royal Academy)، كما يوجد أيضا فنانين من هم أقل شهرة، لكنهم اجتمعوا على إعطاء الأشجار والغابات قيمة

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

خاصة بينما قاموا بعمل تصورات تشكيلية جديدة لرسم وتصوير الأشجار، بما في ذلك تنوع بالحجم، والوسيط، والأسلوب، والفلسفة. ومنذ ذلك الحين قامت المجموعة بعمل العديد من المعارض الفنية لعرض جمال الأشجار ولفت الانتباه إلى المخاطر الناجمة عن تدميرها، وإلى مسؤوليتنا الجماعية لحماية بيئتنا الطبيعية. بينما يحافظ كل فنان منهم على الأسلوب التشكيلي الخاص به فيما بين الواقعية، والرومانسية، والتجريدية، الذي يعرض به رؤيته الفنية. في عام ٢٠١٧م، «راشيل كوك/ Rachel Cooke»، الناقدة في صحيفة (الجارديان/ The Guardian)، وصفت (الشجريين) بأنهم مجموعة متنوعة من الفنانين المهتمين بالأشجار والذين استلهموا من جماعة (الإخوان الريفيين/ The Brotherhood of Ruralists) المعروفين باهتمامهم بالمناظر الطبيعية، فوصفت أعمالهم بأنها تعتبر رومانسية على نطاق واسع، ولكنها لا تستبعد إمكانية التجريد أيضا، فهي أعمال خصبة بشكل ملهم وينتجها أشخاص قادرون فنيا بشكل واضح. قامت الحركة بعمل تسعة وعشرين معرض حتى الآن وهم بصدد افتتاح المعرض رقم ثلاثين في شهر نوفمبر عام ٢٠٢٣م. (Being With Trees, 2021)
أما في شهر مارس ٢٠٢١م، قام (الشجريون) بالاشتراك مع مجموعة فنية معاصرة أخرى تسمى (مجموعة لويد الفنية/ Lloyd's Art Group) - هي مجموعة من الفنانين التشكيليين الممارسين من المهنيين والهواة تأسست في ١٩٦٣م، ويعملون تحت رعاية ودعم سوق التأمين (الغير هادف للربح) المسمى بـ (لويدز أوف لندن/ Lloyd's of London) في عمل معرض جماعي تحت عنوان (التواجد مع الأشجار، جبل طارق/ Being with Trees, Gibraltar)، حيث احتفى الفنانون بحبهم للأشجار والأدوار الحيوية التي يمكن أن تلعبها في حياتنا ومدى فهمنا للبيئة وتغير المناخ في ذلك الزمن الذي يسوده القلق الدولي بشأن التهديدات الوجودية لتأثيرات الاحتباس الحراري. فموقع (الشجريين) على شبكة الإنترنت يذكر أن التقديرات تشير إلى أن العالم بحاجة إلى زراعة مليارى شجرة في أقرب وقت ممكن كمحاولة لتجنب كارثة الاحتباس الحراري، وبالتالي يهدف المعرض إلى زيادة الوعي بأهمية الأشجار في حياتنا من منظور سياسي من خلال مواضيع وقضايا متنوعة: الهوية والسلام الاجتماعي، وأهمية التنسيق الحضاري، إحسان معاملة البيئة واحترام موطن الحياة البرية؛ وكل ما يحقق صحة الفرد وتوازن الانسان النفسي ورفاهيته أيضا. فوجود الأشجار يحتل مركز الصدارة في مدى التكيف والوئام مع ظهور المباني في أي مكان حتى أنها تعد شاهدة على التاريخ في بعض الأحيان. فبجانب دورها الاساسي كرئة للتنفس نجد أشجارًا تستخدم أيضا كعلامات للحدود وكحواجز ضد التلوث وكاتمة للضوضاء. (Ibid, Being With Trees, 2021) لنتناول في الفقرات التالية نماذج لأعمال إثنين من فناني مجموعة (الشجريين) وهما «لارا كوبدن/ Lara Cobden» و«كيري هاردينج/ Kerry Harding».

«لارا كوبدن» هي مصورة بريطانية (مواليد ١٩٧١)، أحد أعضاء (الشجريين). تخرجت من (جامعة برايتون/ Brighton University) في عام ١٩٩٦م بتخصص التصوير، ثم أمضت أحد عشر عاما في (أيرلندا) قبل الانتقال إلى (إيست أنجليا) في شرق (إنجلترا). تم عرض أعمال الفنانة في (المملكة المتحدة) ودوليا، وحصلت على العديد من الجوائز، من بينها (جائزة باركر هاريس للإرشاد/Parker Harris Mentorship Prize) في حفل توزيع (جوائز ويلز للفنون المعاصرة) لعام ٢٠١٨م، والمركز الثاني في (جائزة لين بينتر ستينرز/ Lynn Painter-Stainers Prize) لعام ٢٠١٩م. (Cobden, 2014). أعمال «كوبدن»، التصويرية في أغلب الوقت تقوم على رسم المناظر الطبيعية مستمدة من ملاحظة العالم الطبيعي من حولها مع التركيز على الإحساس بالمكان وذاكرتها به فتستدعي ماضيا متخيلا بين الوهم والمألوف يصنع واقعية سحرية. فهي تصف شعورها بين الأشجار مثل وجودها في بيتها، فأينما كانت دوما ما تجد الغابة توفر لها مكانا ترجع إليه للتأمل ولطلب الإلهام، فالأشجار مصدر للشفاء والحكمة، فهي تبحث عن السكون وتتطلع إلى الشعور بالخشوع. يجمع أسلوبها الفني بين الضبابية والدقة، والواقع والروايات المتخيلة بين الاستيقاظ والحلم. فهي ترى أن الأشجار والغابات توفر مساحة فريدة لهذه الرحلة لتبدأ، في وقت واحد من الداخل والخارج، وتخلق ملاذا وقلقا في آن واحد، فهي تُعد نقطة انطلاق لقِصص لم يتم سردها بعد، وبوابات تدعونا للدخول إلى عالم آخر. (The Arborealists, 2014)
هذا ينطبق على اللوحة الثنائية (الأوراق تركت مذكرات الأشجار على سطح الماء/ The Leaves left notes from the Trees on the Surface of the Water)، عام ٢٠١٨م، شكل (١)، حيث يبدو المنظر الطبيعي في غلالة من الواقعية السحرية من خلال السماء الوردية والدرجات اللونية الصفراء والأخرى من الألوان الباردة التي تخلق لمعان في السماء، ثم تنعكس بدورها على سطح الماء بالمزيد من الدرجات اللونية الباردة. أما عن تصوير الأشجار، فتبدو كالذبذبات الحيوية أعلى وأسفل خط الأفق، فتارة تظهر بشيء من الوضوح، وتارة تبدأ في السيلان والامتزاج بقريناتها على سطح الماء في حالة بين الحقيقة والوهم.

jaars.journals.ekb.eg
حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

شكل (١): «كوبدن»، الأوراق تركت مذكرات الأشجار على سطح الماء، ٢٠١٨م. ألوان زيتية على لوح خشبي (١٢٠x٨٤) سم. (Ibid. The Arborealists, 2014)

المصورة البريطانية الأخرى هي «كيري هاردينج» (مواليد ١٩٧٢م)، تقدم موضوعاتها الفنية من خلال تصوير الأشجار والمناظر الخلوية في لوحاتها، معتمدة في ممارستها كليا على اللعب بالمنظور والمساحات، والتلاعب بالألوان والعمل على بناء وهدم اللوحة عدة مرات وإعادة صياغتها بطريقة تجريدية حرة مليئة بالمفاجآت. حتى تأتي لحظة محددة تعتبرها الفنانة لحظة تنوير سامية تنطلق منها صورة محددة ناشئة، تؤكد الفنانة من خلالها معناها ومعالجتها بشكل واعي حتى الوصول للصورة النهائية للعمل الفني الذي يتجاوز المألوف ويميل إلى السريالية. فبالرغم من أنها تجد في المناظر الطبيعية المحيطة بمنزلها مصدر إلهامها الأساسي، فإنها تسعى إلى نقلنا من كل ما هو مألوف مثل السماء وممرات المشاة والأشجار والبحار التي تراها مرارا وتكرارا يوما بعد يوم، إلى ما هو نصف مألوف ونصف خيالي وغامض، من أجل تحقيق بعض الإحساس بـالآخر عند المتلقي، أو ما يبدو غريب حسيا. (Harding, 2021). ومثالا على ذلك لوحة (شجرة الرصيف)، ٢٠١٨م، شكل (٢)، حيث تظهر الشجرة تقف بشفافية على تل مائل من اليسار وحتى يمين اللوحة، فتقف في الثلث الأيمن على خلفية أحادية اللون ويحيط بها تأثير ضبابي من الدخان الرمادي يوحي بوجود الشجرة اثيريا وليس فيزيقيا. ويتأكد هذا التأثير بسبب التضاد الناتج عن الكتلة المجسمة التي تظهر تحت جزع الشجرة، فهي الكتلة الوحيدة التي تظهر بملامس خشنة وظلال غامقة لتبدوا كشجرة حجرية تحت الشجرة الأولى. وبالرغم من اختلاف اسلوبي المصورتين، فكلتيهما اجتمعتا على نقل حالة ظهور الأشجار فيما بين الحقيقة والخيال.

شكل (٢): «هاردينج»، شجرة الرصيف، ٢٠١٨م. ألوان زيتية على قماش (٦٠x٨٠) سم.(The Arborealists, 2021)

٢,٣ الأنماط المختلفة لتمثيل الأشجار في التصوير المعاصر

يعد تمثيل الأشجار في اللوحات موضوعا تقليديا في تاريخ الفن، وهو موضوع تطور استجابة للتغيرات التي تطرأ على تصور المجتمع للطبيعة والعالم الطبيعي من حوله، وبالتالي خضع تصوير هذا الموضوع لتوجهات المدارس الفنية المعاصرة مثل (الواقعية الفوتوغرافية/ Photorealism)، و(الواقعية المفرطة/ Hyperrealism)، أو لتوجهات معاصرة أخرى تنتمي أصولها إلى بعض المدارس الفنية الحديثة مثل التجريدية التعبيرية، والسريالية. وبالتأكيد يعتمد ذلك الاختيار

jaars.journals.ekb.eg

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

على التفضيل الشخصي للفنان ورؤيته الإبداعية، وسوف يتم تناول بعض النماذج من أعمال المصورين المعاصرين في الفقرات التالية.

١,٢,٣ أسلوب التمثيل الواقعي في التصوير المعاصر:

هناك العديد من الأساليب والتقنيات المستخدمة لتقديم الأشجار في التصوير المعاصر، ومنها هذا الأسلوب الذي يتسم بمحاكاة الشكل الطبيعي ويهتم بالتشكيل الواقعي إلى حد كبير مع إثبات مهارات الفنان في الرسم والتصوير. الأعمال الفنية المنفذة بهذا الأسلوب لا تهتم كثيرا بعرض الموضوعات الواقعية – الاجتماعية، والسياسية، والطبيعية - مثل (المدرسة الواقعية) من القرن التاسع عشر الميلادي في أوروبا؛ ولكنها تدمج جزء من الخيال في ثنايا تفاصيل الصورة الواقعية. سيتم عرض نماذج لتصوير الأشجار بهذا الأسلوب الفني لثلاثة من المصورين المعاصرين وهم الفنان الألماني «جيرهارد ريختر»، والفنان الكوري «آن جونغ-هوان»، والفنانة الأمريكية «كلير شيرمان»، لعرض أساليب التناول الفني لكل منهم.

لنبدأ بالفنان «جيرهارد ريختر/ Gerhard Richter» هو فنان ألماني معاصر (مواليد ألمانيا الشرقية ١٩٣٢م)، تلقى تعليم الفنون في (مدرسة درسدن للفنون التشكيلية) في عام ١٩٥١م، ثم درس وعمل في (مدرسة دوسلدورف للفنون) بعدما انتقل إلى «جمهورية ألمانيا الاتحادية /ألمانيا الغربية» في عام ١٩٦١م، وبعدها تم تعيينه أستاذا في (أكاديمية دوسلدورف للفنون) في عام ١٩٧١م حتى تقاعد في عام ١٩٩٤م. تتضمن إبداعات الفنان تجارب فنية عديدة ومتنوعة في كل من التصوير التجريدي، والتجهيز في الفراغ، وفنون الأداء. إضافة لذلك، لقد تمكن ريختر بأفكاره الرائدة وأسلوبه الواقعي في التصوير من إعادة مكانة التصوير إلى سابق عهدها في أواخر القرن العشرين، بعدما صار مهملا بعض الشيء بجانب ظهور العديد من الوسائط المختلفة في الفنون المعاصرة، بل وأكد على المكانة المهمة للفن الأوروبي في مواجهة الفن الأمريكي. (Pan and Jung, 2021)

كان «ريختر» أيضا من الفنانين الذين قاموا بأعمال فنية تقدم الأشجار في موضوعاتهم وذلك من خلال التصوير بأسلوبه الواقعي الذي يسمى بـ (تصوير الواقعية الفوتوغرافية والمبهمة/ Photo-realistic and Fuzzy Painting) القائمة بالاعتماد على الصور الفوتوغرافية كمصدر أساسي للصورة، مثال (أشجار في حقل /Trees in a Field)، عام ١٩٨٨م، شكل (٣). يقدم الفنان لهذا الأسلوب تفسيرا جديدا للتصوير من خلال سمة معينة تخص التصوير الفوتوغرافي، فعلى حسب تعليقه الشخصي «أنا لا أحاول تقليد صورة... أحاول أن أصنع صورة فوتوغرافية... أن أصنع لوحة تشبه الصورة». فهو يعتقد أن الأصالة والموضوعية التي تنقلها الصور الفوتوغرافية أعلى مما تنقله اللوحات التصويرية، لأن التصوير الفوتوغرافي يتيح نوعا من المعلومات المباشرة عن الأشياء؛ بينما حلت وظيفة التصوير الفوتوغرافي محل وظيفة التصوير الواقعي، اهتم الفنان بالعلاقة بين موضوعية الأشياء وصورها. فمن وجهة نظره أن الرسم السريع المباشر يشوه موضوعية الأشياء لأنه يخلق أساليبا فنية، في حين يمكن نقل هذه الموضوعية مباشرة بالصورة الفوتوغرافية. وفي حين أن الفنان يختار صور المناظر الطبيعية من المجلات، ولكنه أراد تقديم المناظر الطبيعية المثالية بطريقته الخاصة. (Ibid, Pan and Jung, 2021).

شكل (٣): «ريختر»، أشجار في حقل، ١٩٨٨م. ألوان زيتية على قماش (٨٢×١١٢) سم. «Art "Trees in a Field [656-2]" Gerhard Richter," 2021)

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

ثم ننتقل إلى الفنان الكوري «آن جونغ-هوان/ An Jung-hwan» (مواليد ١٩٧٨م)، وهو يتبع أسلوب (الواقعية المفرطة) في التصوير، وهو أسلوب آخر يركز على إنشاء نسخة طبق الأصل تقريبا من الواقع من خلال التصوير، لكنه يتجاوز أسلوب (الواقعية الضوئية) من خلال تصوير الأشياء والمشاهد المختلفة بحرفية وجودة واقعية للغاية، مما يجعل اللوحة تبدو سريالية المعنى إلى حد ما بجانب هذا المستوى من الواقعية في التشكيل. هذا الأسلوب يتطلب قدرا كبيرا من الاهتمام بالتفاصيل والدقة، وهنا يقوم الفنان بتصوير جذوع الأشجار كما لو كانت منحوتات حقيقية مع التأكيد على التفاصيل الدقيقة للّحاء. (The Zenbalist, 2022) لم يمنع الفنان التمثيل الواقعي المتناهي في لوحة (الغابات الصامتة رقم ٤٣/ Silent Woods No.43)، عام ٢٠٠٩م، شكل (٤)، من مراعاة إظهار جماليات اللغة التشكيلية، فهو يراعي أيضا بشكل كبير تأثير المنظور الجوي على تنوع القيم الضوئية والملامس على جذوع الأشجار التي تشكل الخطوط الرأسية في الأبعاد المختلفة من العمل الفني. ذلك في مقابل الدقة المتناهية في تمثيل الحشائش في الثلث السفلي من مقدمة اللوحة، بالتوازي أفقيا مع تمثيل أوراق الشجر في الثلث العلوي في البعد الأوسط والبعد الأقصى من اللوحة؛ مما أدى إلى ظهور الأشجار في عمل فني متماسك وتقن فنيا للغاية.

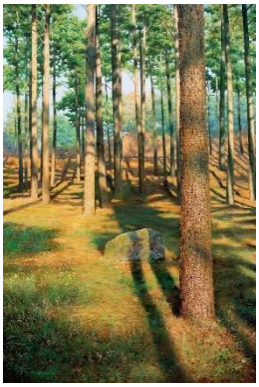

شكل (٤): «جونغ-هوان»، الغابات الصامتة رقم ٤٣، ٢٠٠٩م. ألوان زيتية على قماش (٩٠،٩×٦٠،٦) سم. (Jung-hwan, 2010)

أما الفنانة الثالثة فهي الأمريكية «كلير شيرمان/ Claire Sherman» (مواليد ١٩٨١م)، حصلت الفنانة على درجة البكالوريوس من (جامعة بنسلفانيا) في عام ٢٠٠٣م وماجستير في الفنون الجميلة من (كلية معهد شيكاغو للفنون) في عام ٢٠٠٥م، بالإضافة إلى عملها الأكاديمي كأستاذ مساعد في (جامعة درو). عرضت «شيرمان» أعمالها الفنية على نطاق واسع في جميع أنحاء (الولايات المتحدة) وفي (أمستردام)، و(لايبزيج)، و(لندن)، و(سيول)، و(تورينو)؛ بالإضافة إلى قيامها بالعديد من الإقامات الفنية. يعد معرض (إنتور) في قاعة (دي سي مور/ DC Moore) المعروض في الفترة من (٥ مايو - ١٨ يونيو) ٢٠٢٢م آخر معرض فني لها. عنوان المعرض مأخوذ عن الكلمة اللاتينية (إنتور/ Intuor) والتي تعني النظر بتمعن أو التأمل والإعجاب. فبعد معرضها السابق في عام ٢٠١٩م، والمستوحى من كتاب «إليزابيث كولبرت/ Elizabeth Kolbert»، (الانقراض السادس/ The Sixth Extinction)، واصلت الفنانة دراسة الحالة البيئية الجديدة التي نتجت عن تدخل البشر في ظهور العديد من العوامل المؤثرة مثل، العولمة، والانتشار المتزايد للتجارة، والانتقال، والسفر حول أنحاء العالم، فكل هذه العوامل أجبرت العديد من المخلوقات والنباتات على التعايش في بيئات جديدة، ومن ثم تحول العالم إلى قارة عظمى جديدة. (DC Moore Gallery," 2022).

وهكذا تتناول لوحات المعرض بعض البيئات الجديدة المركبة التي يخلقها الجنس البشري من خلال الأشكال الكثيفة والمتشابكة والمتموجة للنباتات ومساحات الفراغات بينها. لقد أمضت الفنانة السنوات الثماني الماضية في البحث ومواقع المشي لمسافات طويلة في كل من (شمال كاليفورنيا) و(أوريغون)، والتي التهمت حرائق الغابات الكثير منها في عامي ٢٠٢٠م و٢٠٢١م. من هنا التفتت الفنانة إلى موضوع الزهور والحشائش البرية لأنها أحد النباتات الأولى التي عادت للظهور بعد الحريق المدمر؛ فتلك المرونة التي تتمتع بها هذه النباتات الموجودة في كل من الغابات وبجوار الطرق السريعة، تبدو ضرورية بشكل ملح خلال الزمن الحالي لمقاومة الأوبئة وتغير المناخ. (Ibid. DC Moore Gallery," 2022) .

وصف الناقد الفني «باري شوابسكي/ Barry Schwabsky» اللوحات المعروضة بأنها تتراوح بين التجريد والتمثيل، وبأن شيرمان لديها المهارات الفنية والقدرة على التمكن من استخدام الألوان والتحكم فيها بحيث يكون في بعض الأحيان سائلا وفوضويا بحيث لا يمكن السيطرة عليه؛ وفي أحيان أخرى يكون جامدا ويصف العناصر المرسومة بدقة. وبالرغم من التزام

jaars.journals.ekb.eg

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

الفنانة بمحاكاة الطبيعة التي تقوم برسمها، لكن ما زال يمكننا رؤية خيال هائل ومع طاقة لعب وحماس في لوحاتها، مثلما في لوحة (أشجار وكرم/ Trees and Vines)، عام ٢٠٢١م، شكل (٥). (Ibid., DC Moore Gallery," 2022).
من الملاحظ أنه بغض النظر عن أسلوب التصوير المستخدم هنا، فأسلوب التمثيل الواقعي للأشجار في التصوير المعاصر يتطلب التزاما بدراسة العالم الطبيعي والتفاصيل الدقيقة للأشجار، فهو أسلوب فني تم تعزيزه من خلال انتشار التكنولوجيا والسهولة التي يمكن للفنان المعاصر من خلالها التقاط التفاصيل التي يريد إظهارها بالاستعانة بالتصوير الفوتوغرافي فيستطيع خلق تجربة فنية مختلفة في تصوير الشجرة والبيئة المحيطة بها.

شكل (٥): «شيرمان»، أشجار وكرم، ٢٠٢١. ألوان زيتية على قماش (٢٤٣,٨٤ ×٥٩٤,٣) سم. (Ibid., DC Moore Gallery," 2022)

٢,٢,٣ التجريدية التعبيرية المعاصرة:

الأسلوب التجريدي التعبيري المعاصر في العمل الفني يهدف إلى إنشاء صورة غير تمثيلية سواء من المحيط الخارجي أو تعبيرا عن أفكار ومفاهيم الفنان، وذلك من خلال تلخيص مكونات الصورة إلى أشكال أساسية مثل الخطوط والأشكال والألوان، حيث يضطر المشاهد إلى إنشاء تفسيره الخاص عند رؤية اللوحة. ويتبنى هذا الأسلوب العديد من الفنانين المعاصرين في تصوير الأشجار، ويمكن القول إنه امتداد لنفس أساليب التحليل التشكيلي للمدرسة التجريدية في مطلع القرن العشرين. وهنا عرض لمثالين لتجربتين تجريديتين للفنانة الأمريكية المعاصرة «جوان ميتشل»، والفنان الألماني المعاصر «ألبرت أولِن».

«جوان ميتشل/ Joan Mitchell» هي فنانة أمريكية (١٩٢٥-١٩٩٢م)، أحد الفنانات القلائل المتميزين من (مدرسة نيويورك الفنية)، ويرجع أسلوبها الفني إلى التعبيرية التجريدية، حيث تمتلئ لوحاتها بالطاقة والعاطفة، من خلال ضربات الفرشاة المتقطعة ذات الألوان الغنية مع الإحساس بالقيمة الضوئية، في تكوينات أنيقة ومتمردة في آن واحد. فهي تبدأ تشكيل الشجرة من مركز راسخ ثم تخلق إيقاعات متمايلة من خلال إيماءاتها الجسدية. فالفنانة نفسها وصفت ممارسة فن التصوير بالكلمات التالية: «التصوير هو وسيلة للشعور (بالحياة). / Painting is a means of feeling 'living'.»؛ وبالتالي ينعكس ذلك في اعمالها الفنية.(Mitchell, 2023)

في عالم الفن التجريدي يأخذ تمثيل الأشجار شكلا فريدا، مما يسمح للفنانين باستكشاف الصفات غير الملموسة للأشجار من خلال الأساليب والتقنيات التجريبية. هنا أشجار «ميتشل» تشكل مثالا ممتازا للأسلوب التجريدي المعاصر، ففي ثنائية (الأشجار/ Trees)، ١٩٩٠-١٩٩١م، شكل (٦)، مثال لأحد أعمالها في نهاية حياتها، والذي تم عرضه ضمن سبع لوحات كبيرة في معرض (جوان ميتشل: أشجار / Joan Mitchell: Trees) المقام في قاعة (تشايم وريد/ Cheim & Read) بـ (نيويورك) عام ٢٠١٤م. يعود تاريخ أعمال المعرض إلى الفترة بين (١٩٦٤ إلى ١٩٩١م)، وهي مستوحاة من الأشكال البنائية المتنوعة للأشجار وكثافتها في المناظر الطبيعية. (Ibid. Mitchell, 2023). قامت قاعة (شايم وريد) في البيان الصحفي عن المعرض المقام بها، بالتعليق بأن الفنانة لم تنجح فقط في التقاط التأثيرات البصرية المختلفة للطبيعة، ولكنها تمكنت أيضا في التقاط جوهرها المتمثل في «أن تكون على قيد الحياة». وتضيف بأن هناك تأثرا واضحا بشكل كبير في ممارستها بكل من ضربات فرشاة «فان جوخ» المشحونة بالطاقة، وألوان «سيزان»، والتحليلات المقسمة والأسطح

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

المنظمة في لوحات الشجر لـ «موندريان»؛ وذلك بعد أن انتقلت للعيش في فرنسا في عام ١٩٥٩م، لتستقر هناك خلال العقود الثلاثة الأخيرة من حياتها. (Ibid. Mitchell, 2023).

شكل (٦): «ميتشل»، ثنائية لأشجار، ١٩٩٠–١٩٩١م. زيت على قماش (٢٤٠ × ٤٠٠،١) سم. ("Joan Mitchell: Trees," 2020)

الفنان الثاني هو «ألبرت أولِن/ Albert Oehlen»، المصور الألماني المعاصر (مواليد ١٩٥٤م). الفنان مقيم في سويسرا، ويتبنى أسلوب (المينيماليزم /Minimalism) الذي يعتمد على التجريد والتبسيط في تشكيل المخرج الفني بعيدا عن المفاهيم التي قد تعبر عن أفكار ومفاهيم الفنان ذاته. فهو معروف بتوجهه نحو التجريدية التي بدأها في أواخر ثمانينيات القرن العشرين حيث يعتبر من وجهة نظره الشخصية أن أسلوبه التصويري الذي اتسم بشكل أكثر واقعية فيما قبل ذلك «تصوير سيئ» على حسب تعبيره. ("Bäume / Trees," 2019) .

كان عام ٢٠٠٥م بمثابة مرحلة انتقاليه في أسلوب الفنان، فقد أصبح تصوير الأشجار أكثر بساطة، حيث فقدت ألوانها وتحولت إلى أشكال سوداء على خلفية هندسية بلونين. بدأ الفنان آنذاك أيضا في تطبيق طبقات الألوان بعناية على ألواح البولي إيثيلين الكبيرة ذات الوجه المصنوع من الألومنيوم، وبها بذل قصارى جهده لعدم ترك أي أثر لعمل الفرشاة. تمكن الفنان من تصوير الأشجار بطريقة تشبه الأعمال الفنية المنفذة بالبرامج التصميم الرقمية، حتى اتخذت لوحاته مظهر اللوحات الإعلانية على الرغم من أنها كانت مرسومة يدويا بدقة بالزيوت. أما في ٢٠١٥م، وصف «أولِن» تجربته الفنية عن تصوير عنصر الشجرة: «ماذا سوف يحدث إذا قام الفرد بتفسير التكوين الفوضوي المجنون وغير المنظم لفروع الشجرة، وبتشبيهه بوضع الفنان أمام اللوحة الفارغة، التي لا يعلم إلى أين ستؤدي ضربات فرشاته. فلا توجد تفاصيل ثابتة، ولا يوجد معنى ثابت». ففي المراحل المبكرة للفنان، كان تصوير الشجرة يظهر بأشكال محددة أكثر تمثيلا لكل من الجذع، والجذور، والفروع، بحيث يمكن التعرف عليها بوضوح، ملونة بدرجات الأخضر الداكن والرماديات والدرجات البنية؛ لكن بدء من عام ١٩٨٨م قام الفنان باتخاذ مجموعة من القواعد يختلف أثرها تماما على إنتاجه الفني، وهي أنه يجب أن تكون أشكال الأشجار عمودية وتقع في مركز اللوحة، بينما يجب أن تكون الخطوط ضيقة بشكل متزايد لأنها تمتد من منتصف الشجرة. كون الفنان سلسلة كبيرة من الأعمال في بنفس القواعد منذ ذلك الوقت وحتى الوقت الراهن. ("Untitled (Tree 1) | Guggenheim Museum Bilbao," 2015).

عند رؤية الأعمال نرى أن الفنان قام بالإيجاز الشديد عند تصوير الأشجار حتى أن كل أشجاره عارية وخالية تماما من الأوراق أو الزهور، فعلى سبيل المثال لوحة (بدون عنوان - شجرة ١/ Untitled – Tree no. 1)، عام ٢٠١٣م، شكل (٧) – وهي من المجموعة الخاصة بجاليري (ماكس هيتسلير) في (برلين) و(باريس) - يصور الفنان حركة جذع الشجرة بقوة وثبات ويضيف إليها فروعها وجذورها بخطوط منطلقة برشاقة في اتجاهات تبدو عشوائية عند النظر إليها، ولكنها محكمة مثل الكتابة الصينية برسم ذي إيقاعات وقيم خطية تتنوع من المركز السميك إلى الفروع والجذور الأرفع فالأرفع نحو حدود اللوحة. تظهر معظم الخلفية بدرجات الأبيض فيما عدا الجزء الأيمن من أعلى وحتى بعد منتصف اللوحة، حيث يملأ اللون الحمر مسطيلا يقترب الجانب السفلي له من الخط الوهمي للثلث الأفقي الثاني للوحة بخط حاد وفاصل، بينما يقع الجانب الأيسر له على الخط الوهمي للثلث الرأسي الأيمن بتدرج لوني سريع نحو الأبيض لتخلق خط ضبابي بعض الشيء.

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

شكل (٧): «أولين»، *(بدون عنوان - شجرة ١، ٢٠١٣. ألوان زيتية على مسطح ألومنيوم (ديبوند) (٣٧٨ x ٢٥٠) سم. "Untitled (Tree 1) | Guggenheim Museum Bilbao," 2015)*

٣,٢,٣ السريالية المعاصرة:

تمثل الحركة السريالية المعاصرة في الفنون البصرية اتجاهًا ديناميكيًا ومتطورًا باستمرار يجمع بمهارة بين الأساليب السريالية التقليدية والوسائط المبتكرة. عبر مجموعة من المظاهر الفنية، يتحدى السرياليون المعاصرون باستمرار حدود الحوار الإبداعي، ويحثون المشاهدين على إعادة تقييم الواقع والمشاركة في محادثة عميقة مع العوالم الغامضة للعقل الباطن. هذا الجزء سيتناول نماذج من أعمال ثلاثة فنانين معاصرين تناولوا تصوير الأشجار في إطار سريالي وهم «بيتر دويج»، و«لويس دود»، و«بانسيه أحمد».

«بيتر دويج/ Peter Doig» هو فنان كندي معاصر إسكتلندي الأصل (مواليد ١٩٥٩م)، انتقل مع عائلته في سن الثانية إلى (كندا) وعاش لاحقا في (ترينيداد) و(لندن). درس «دويج» في (مدرسة ويمبلدون للفنون) و(مدرسة تشيلسي للفنون) في (لندن) قبل أن ينتقل إلى (الولايات المتحدة) لاستكمال درجة الماجستير في الفنون الجميلة في (معهد برات) في (بروكلين). كانت نشأته وانتقالاته في البلدان المختلفة لها تأثيرا عميقا على تكوين شخصيته الفنية وانعكاس ذلك في أعماله التي غالبا ما يستعرض فيها مواضيع النزوح والهوية. (Jones, 2012).

يرفض الفنان اتخاذ موقفا ساخرا ومخففا تجاه التصوير كوسيلة عفا عليها الزمن، وحازت لوحاته على مر السنين على إشادة من النقاد حيث اعتبره الكثيرون أحد أعظم الفنانين المعاصرين. يشتهر «دويج» بمناظره الطبيعية التي يقدم لنا من خلالها لمحة عن جمال وغموض العالم الطبيعي، فلقد صنع لنفسه اسما من خلال رسم الأشجار بشكل خاص بطريقة تجسد جوهرها، وهو معروف بقدرته على نقل الحالة المزاجية والجو في المكان من خلال ضربات الفرشاة واللون. فالفنان لديه قدرة فريدة على التقاط جوهر الطبيعة في لوحاته، مما يجعلها تنبض بالحيوية والديناميكية، فغالبا ما تتمتع لوحاته بحالة تشبه الحلم كما لو كانت تلتقط لحظات من أزمنة وعوالم أخرى. (Ibid. Jones, 2012) فأعماله تتشابه مع السوريالية المعاصرة والواقعية السحرية.

لوحة (ريفيير كبير/ Grande Riviere)، عام ٢٠٠١-٢٠٠٢م، شكل (٨)، تعتبر مثالا يظهر تناول تصوير الأشجار كموضوع أساسي، فاللوحة تصور مشهدا لغابة كثيفة مع بقع من الضوء تسطع من الأشجار نفسها بين ظلال مختلفة من الأزرق والأخضر والبني الداكن حيث يخلق مزيج الألوان وقوامها الكثيف إحساسا بتنوع الملامس، والعمق، والحركة، مما يجعل اللوحة تنبض بالحياة. تنقسم اللوحة إلى جزئين أفقيين، حيث يمثل القسم الأعلى المكان الذي تكون فيه الأشجار هي الأبرز بأوراقها الكثيفة، وذلك من خلف نهر متعرج باللون الأزرق الداكن في الجزء الأسفل يتوسطه جزيرة تشكل خطا أفقيا تظهر بشكل غير متوقع بدرجات تقرب من الأبيض بعرض اللوحة يحدد الثلث الأسفل من اللوحة. تمنح ضربات الفرشاة السميكة اللوحة إحساسا بالعمق والملمس، مما يزيد من غموضها.(Ibid. Jones, 2012)

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

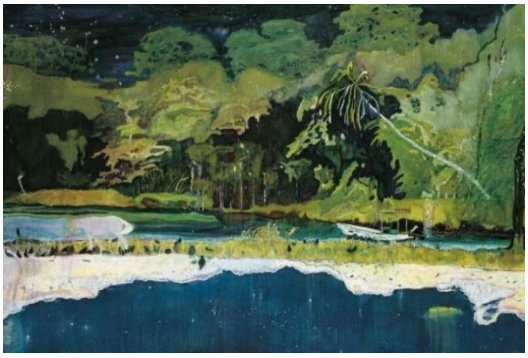

شكل (٨): «دويج»، ريفيير كبير، ٢٠٠١-٢٠٠٢م. (The KAZoART Contemporary Art Blog, 2019)

بعد ذلك ننتقل إلى الفنانة الأمريكية المعاصرة «لويس دود/ Luis Dodd» (مواليد ١٩٢٧م)، وهي تعيش وتعمل بين «نيويورك» و«لينكولنفيل». درست الفنانة في (اتحاد كوبر) في أواخر أربعينيات القرن العشرين. وفي عام (١٩٥٢م) كانت واحدة من الأعضاء الخمسة المؤسسين لـ (معرض تناجر الأسطوري)، من بين أول المعارض التعاونية التي يديرها فنانون في «نيويورك»، وهي أيضا عضوة منتخبة في (الأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب) و(الأكاديمية الوطنية). ثم في عام ١٩٩٢م، تقاعدت عن التدريس في (كلية بروكلين)، ويمكن العثور على أعمالها الفنية في العديد من المجموعات المتحفية مثل متحف (كلية كولبي) في «ووترفيل»، و(متحف بورتلاند للفنون)، و(متحف كيمبر للفن المعاصر) في مدينة «كانساس سيتي». (Alexandregallery, 2013)

فالتصوير بالنسبة لهذه الفنانة هو احتفال بالطبيعة، ولأكثر من خمسين عاما رسمت محيطها اليومي المباشر في الأماكن التي اختارتها للعيش والعمل وقد صورت محيطها اليومي في الجانب الشرقي الأدنى وولاية «ماين» الساحلية. وتشمل موضوعات أعمالها الفنية أشكال المباني في «نيو إنجلاند»، والحدائق والمناظر الطبيعية المحيطة التي اعتادت على رؤيتها بشكل متكرر في أوقات مختلفة من العام، مثل الأشجار المورقة، والنباتات المجففة الخالية من الأوراق، وسماء الليالي المقمرة، والمناظر من خلال النوافذ الداخلية. (Ibid. Alexandregallery, 2013)

اتبعت «دود» في بداياتها خلال خمسينيات وستينيات القرن العشرين أسلوبا واقعيا للرسم من خلال المحاكاة عبر الملاحظة المباشرة، والتي يمكن رؤيتها كرد فعل على الحركات المهيمنة في ذلك الوقت مثل التعبيرية، والتجريدية، وفن البوب. ثم طورت أسلوبها الفني الخاص، فهي دائما ما تقوم بتسجيل ملاحظاتها خلال جلسة منفردة في الهواء الطلق، وذلك بشكل مباشر على لوحات صغيرة الحجم من ألواح الماسونيت، وأوضحت: «أدرك دائما أنني أحاول الحصول على الخطوط العريضة لأي ظلال أو أي شيء من هذا القبيل على الفور قبل أن يتحول لأنني انجذبت إلى الطريقة التي بدت بها في لحظة وصولي... وليس بالطريقة التي ستبدو عليها بحلول الوقت الذي سأغادر فيه. فإذا كانت الأمور تتحرك أكثر من اللازم، والظلال تتغير، يجب أن أوجز كل ذلك بسرعة من أجل الحفاظ على الطريقة التي بدت لي عندما انجذبت إليها في أول مرة». كما أوضحت الناقدة «روبرتا سميث/ Roberta Smith» في مارس ٢٠١٣م، أن الفنانة تحب نقل العالم حولها وتقلبات الطبيعة وحتى سمات منازل «ماين» القديمة وعلاقتها بالطبيعة والإضاءات المؤثرة حولها؛ فهي تبحث دائما عن الهندسة الضمنية في المنظر بالإضافة إلى الحياة والغرابة الكامنة فيها. (Ibid. Alexandregallery, 2013)

شكل (٩): «دود»، التنظيم الطبيعي، ١٩٧٨م. ألوان زيتية على قماش (١٢١ × ٩٦,٥٢) سم. ("Lois Dodd - Natural Order - Exhibitions - Alexandre Gallery," 2023)

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

تظهر رؤية الفنانة بأسلوب فريد في لوحة (التنظيم الطبيعي/ Natural Order)، في عام ١٩٧٨م، شكل (٩)، فالأشجار في مقدمة اللوحة تقترب من الأسلوب الواقعي، بينما يتشابه الأسلوب المستخدم في الخلفية بالتعبيرية التجريدية؛ إلى أنه يوجد ما يشبه التحليلات التجريدية الهندسية الناتجة عن التقسيمات الناتجة عن الخطوط الرأسية لجذوع الأشجار والخطوط الأفقية لفروعها، ذلك بالإضافة إلى بعض الخطوط المائلة الأخرى لبعض الأفرع والتقسيمات الظاهرة في الأرض ذات الدرجات اللونية الدافئة التي تقود عين الرائي من المقدمة الواقعية في اللوحة إلى الخلفية الضبابية الغامضة ذات الدرجات اللونية الباردة.

أما عن الفنانة «بانسيه أحمد/ Pance Ahmed»، فهي مصورة مصرية سكندرية معاصرة (مواليد ١٩٨٩م)، حصلت على درجة بكالوريوس التصوير من كلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية في عام (٢٠١٣م)، وأصبحت مدرسا مساعدا بقسم التصوير بنفس الكلية منذ حصولها على درجة الماجستير في عام (٢٠٢٠م) برسالة علمية تحت عنوان (الطرق الفكرية وأثرها في تطور الفن البيئي). اشتركت على مدار سنوات في العديد من الفاعليات الفنية المحلية ومن أهمها صالون الشباب في (أتيليه الإسكندرية) في الدورات المقامة في الأعوام (٢٠١١، ٢٠١٣، و٢٠١٤م)، وفي (قصر الفنون) في عام (٢٠١٧م)، ومسابقة (جائزة مؤسسة فاروق حسني للفنون) في الدورتين لعامي (٢٠٢٠، و٢٠٢١م)، بالإضافة إلى فاعليات (حي القاهرة الدولي للفنون – النسخة الثانية، آر ديجيبت) في دورة عام (٢٠٢٢م). إضافة إلى ذلك، قد حازت الفنانة على بعض الجوائز ومنها: جائزة من (مسابقة الأقصر للشباب، مؤسسة الفن من الناس وللناس) عام (٢٠١٨م)، وجائزتين من (مهرجان ضي للشباب العربي، جاليري ضي) في عام (٢٠٢٠م)، والجائزة الثانية لدورة عام (٢٠٢٢م). قد اهتمت الفنانة بالموضوعات البيئية وعلاقتها بحياة الإنسان في أعمالها الفنية ودراساتها، فمن خلال محادثة الفنانة، تبين انشغالها بما سوف يحدث في المستقبل في ظل عدم احترام الإنسان للطبيعة، حيث يتدخل بدون وعي أو تفكير في إفساد الموارد الطبيعية بسبب احتياجاته الاستهلاكية والمادية، فاستبدل المناطق الطبيعية والأراضي الزراعية بالمبنى العمرانية والمصانع الملوثة للبيئة الطبيعية وغيرها مما تسبب في خلل النظام البيئي للعالم؛ ثم تستشهد بكلمة الكاتبة البريطانية «باربرا وارد، Barbara Ward» «لقد نسينا كيف نكون ضيوفًا صالحين، وكيف نسير بخفة على الأرض كما تفعل مخلوقاتها الأخرى». (ب. أحمد، مقابلة شخصية، ١ أغسطس، ٢٠٢٣)

في النموذج التالي (رباعية، بدون عنوان)، ٢٠٢٢م، شكل (١٠)؛ تمزج الفنانة بمهارة تشكيلية كل من النباتات والأشجار كعناصر طبيعية حرة، مع الخطوط الهندسية الحادة كعناصر مادية من المحيط العمراني في المدن. ذلك عن طريق عمل شبكة من الأبعاد من خلال توظيف المنظور الجوي الظاهر في تدرج التشبع اللوني والقيم الضوئية المختلفة للأشجار الكثيفة، بداية من الطبقات الخارجية للوحة وحتى الطبقات العميقة في الخلفية؛ بينما تتخللها خطوط أحادية اللون لمباني مرسومة بالمنظور الهندسي، توحي بتأثير الحالة المادية على العالم. الفنانة توصلت هنا إلى خلق حالة مكانية فريدة تقع بين الحلم والواقع، فالنباتات والأشجار مرسومين بأسلوب شبه واقعي بدرجات اللون الأخضر والبني في مقدمة اللوحة، ثم بشكل أكثر تجريدية بدرجات اللون الأزرق في وسطها، ثم تظهر كغلالة من التأثيرات التجريدية من الدرجات اللونية الفاتحة من اللون الصفر، والوردي، والأزرق الفيروزي في الخلفية، حيث تبعث بالأمل في المستقبل بالرغم من الوضع العمراني والبيئي المؤسف.

شكل (١٠): «بانسيه أحمد»، رباعية، بدون عنوان، ٢٠٢٢. ألوان أكريليك على قماش كل قطعة (١٢٠×٣٠) سم. (نفس المرجع، ب. أحمد، مقابلة شخصية، ١ أغسطس، ٢٠٢٣)

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

٣،٣. نماذج توظيف وسائط التصوير البديلة في تمثيل الأشجار في الأعمال الفنية المعاصرة

لقد سعى من قبل الكثير من الفنانين للجمع بين وسائط مختلفة مثل الألوان الزيتية، والأكريليك، والكولاج، وغيرها من الوسائط المختلطة لابتكار مواد وتأثيرات بصرية فريدة يصعب الوصول لها باستخدام وسيط واحد فقط. إضافة إلى ذلك، خلقت الابتكارات التكنولوجية إمكانيات جديدة ومثيرة أيضا، فمع ظهور الفن الرقمي والوسائط المتعددة، أصبح لدى الفنانين أدوات أكثر من أي وقت مضى لإنشاء قطع فنية مميزة. ومع استمرار تطور تقنيات التصوير المعاصر يبدو أن مستقبل تصوير الأشجار سيكون مليئا بالاستكشاف والتجريب حيث يستطيع الفنانون إعطاء معاني وتمثيلات جديدة لهذا العنصر باستخدام طرق جديدة ومثيرة لإثارة تفاعل المشاهدين مع الطبيعة، ومما سيتيح للفنانين منصة لاستكشاف علاقتنا بالبيئة، وتوضيح دور الأشجار في عالمنا، وإلقاء الضوء على تأثير الإنسان السلبي على الطبيعة.
هذا الجزء يتناول نماذج أعمال من أربعة فنانين معاصرين تناولوا الأشجار كأبطال لموضوعاتهم الفنية وقاموا بالتعبير عنها بتقنيات تكنولوجية ووسائط جديدة ومبتكرة في التصوير وهم: الفنان المصري «محمد أبو النجا»، والفنان البريطاني «ديفيد هوكني»، والفنان الأمريكي «تشارلز جاينز»، والفنان المصري «عمرو فكري».

لنبدأ بالفنان «محمد أبو النجا» وهو فنان مصري من مدينة (طنطا)، (مواليد ١٩٦٠م)، تخرج من (كلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية)، ثم حصل على درجة الماجستير في الفنون الجميلة عام ١٩٩٢م، والدكتوراه في فلسفة الفن من (جامعة الإسكندرية) عام ١٩٩٧م. فاز بالجائزة الأولى في بينالي الإسكندرية في عام ٢٠٠١م، ثم قام بتمثيل مصر في (بينالي البندقية) عام ٢٠٠٢م. وهو أيضا أول فنان من الشرق الأوسط يحصل على منحة من مؤسسة اليابان لدراسة فن صناعة الورق في اليابان، ومؤسس (مؤسسة النافذة للفن المعاصر والتنمية). (Egyptian Art Today,” 2012“)
خلال العامين بين ٢٠١١م و٢٠١٢م، كان الفنان أبو النجا واحدا من كثيرين قد تأثروا بما تأثرت به مصر والعديد من البلدان العربية الأخرى من أحداث سياسية حيث احتشد خلال هذه الفترة مجموعة من الفنانين ضمن جماهير الشعب المصري طلبا للحرية محاولا استكشاف الهوية الثقافية المصرية من أجل الحرية، فقدم الفنان مجموعة أعمال بعنوان (أربعة أشجار في ميدان التحرير)، ٢٠١٢م، شكل (١١)؛ وفيها يلقي الضوء على علاقة المصريين ببلدهم في خضم الثورة، حيث كانت إحدى وسائل التعبير الملموس هي تزيين الأشجار في ميدان التحرير بأوراق مغطاة بالمطالب والرغبات، والآمال، والأحلام، والشكاوى. لذلك اعتبر الفنان تلك الأشجار بمثابة رسل لتنفيس الشعب عن أمانيه وعن نضاله من أجل التحرير، وداعمة للوعي الجماعي والهوية الثقافية المصرية خلال أوقات التغيير. تم عرض هذه المجموعة في المعرض الجماعي (الفن المصري اليوم) في (قاعة آب/AB Gallery) في مدينة «لوسيرن» السويسرية الذي تم افتتاحه في الثالث من فبراير عام ٢٠١٣م. (Ibid. “Egyptian Art Today,” 2012).

شكل (١١) من اليمين إلى اليسار: «أبو النجا»، شجرة في ميدان التحرير (١)، و(٢)، و(٣)، من سلسلة (القاهرة ١١)، ٢٠١٢م. تصوير ضوئي، (١٥٠x١٥٠) سم. (Ibid. “Egyptian Art Today”, 2012)

ثم ننتقل إلى الفنان البريطاني المعاصر والبارز «ديفيد هوكني/ David Hockney» (مواليد ١٩٣٧م)، وهو معروف باستخدامه المتميز لوسائط التصوير المختلفة مثل الألوان الزيتية، والأكريليك، والألوان المائية، والوسائط الرقمية. ابتكر بالتصوير الرقمي مجموعة متنوعة من الأعمال الفنية من المناظر الطبيعية. ومن السمات المميزة لأسلوبه فيها استخدامه للألوان المشرقة النابضة بالحياة وقدرته على التقاط جوهر وهيكل الأشجار المرسومة، فغالبا ما يبسط «هوكني» كتلتها ويجردها إلى أشكالها الأساسية بأسلوبه التكعيبي الفريد، مما يسمح للمشاهدين بالتركيز على جمالها المتأصل.

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

ينبع افتتان «هوكني» بالأشجار من اهتمامه الطويل الأمد بالطبيعة، فقد قال ذات مرة: «أحب المناظر الطبيعية عندما يبدأ الطقس في التغير. أعتقد أنها دراما». الأشجار، على وجه الخصوص، تحتل مكانة خاصة في قلبه لأنها ترمز إلى رحلة الحياة عبر الزمن؛ كما قال إن الأشجار «مثل الوجوه - كل واحدة مختلفة. فالطبيعة لا تكرر نفسها»، وقال أيضا إنه كان من الصعب بشكل خاص التقاط أشجار الشتاء، وأضاف «عليك أن تراقب بعناية. فهناك عشوائية». (Higgins, 2008)
ومن أهم تجاربه غير التقليدية، قام الفنان بمزج وسائط التصوير التقليدية والرقمية معا في مراحل تصميم وتنفيذ لوحة (أشجار أكبر بالقرب من وارتر – Greater Trees Near Warter) ، ٢٠٠٦م، شكل (١٢)؛ العمل الفني عبارة عن منظر طبيعي واسع بالقرب من قرية في شرق (يوركشاير) مسقط رأس الفنان. بدأت الفكرة في عام ٢٠٠٦م، حين لفتت الأشجار انتباهه بشكل خاص عند قيامه بعمل سلسلة من خمس لوحات زيتية لـ (غابة ولدجايت Woldgate Woods)، للتعبير عما وصفه سابقا بـ (دراما) تغيير الفصول. بعد ذلك، بدت له فكرة العمل على نفس المشهد على نطاق أوسع بكثير، فبدأ «هوكني» في شهر يناير من عام ٢٠٠٧م، باستخدام أساليب الرسم التقليدية في عمل لوحات أولية لمشهد بانورامي لمنظر طبيعي في الهواء الطلق على ست لوحات من القماش - وهو أسلوب مماثل لممارسة رسامي المناظر الطبيعية الفرنسيين في القرن التاسع عشر مثل فناني مدرسة الـ (باربيزون) و(الانطباعيين)- ليصبح المشهد لاحقا بعد التنفيذ أكبر عمل تصويري قام «هوكني» برسمه على الإطلاق بطول أربعة أمتار ونصف المتر وبعرض إثني عشر متر. لكن ليتمكن الفنان من القيام بذلك بدون سلم أو سقالات لصناعة اللوحات الجدارية، وفي استوديو صغير في (بريدلينجتون) لا يتسع لأكثر من عشر لوحات على الحائط فقط في آن واحد، كان لابد من ابتكار أسلوب غير تقليدي آنذاك لتنفيذ العمل بهذا الحجم ويتيح الفرصة للفنان بالرجوع للوراء والنظر إلى العمل ككل عن بعد كما يفعل عادةً مع اللوحات الأصغر حجما. قام «هوكني» بإتباع عملية منظمة لتنفيذ الجدارية، حيث بدأ باستخدام تقنية التصوير الرقمي لكل قطعة على حده، ثم اتبع ذلك برسم شبكة على الحاسوب لتوضيح كيف تتناسب مقاطع المشهد في أكثر من خمسين لوحة صغيرة متصلة ببعضها البعض في العمل الفني الواحد؛ ثم قام بالرسم بالألوان الزيتية على قطع فردية من أجزاء العمل الفني في موقع المنظر الطبيعي، وأثناء ذلك، تم تصوير كل القطع وتحويلها تدريجيا إلى فسيفساء رقمية استطاع بها بناء العمل الفني كليا، وبعد تلك المرحلة قام بإضافة العديد من اللمسات على كل جزء مع إعادة صقله حتى الوصول إلى شكل متناغم لتشكيل متماسك في النهاية. (Tate, 2021)
أتخذ الفنان هذا المشهد مع أولى علامات وصول الربيع حين تنبت أولى أوراق الشجر، فنرى وقوف مجموعة من الأشجار العالية التي تتشابك فروعها، وبعض أزهار النرجس البري المبكرة على أرض مرتفعة قليلا في المساحة الأمامية الضحلة، بينما تتوسط شجرة الجميز المهيبة مركز التكوين، ويظهر خلفها في العمق أشجار آخرى وردية اللون وفروعها تتشابك بكثافة أعلى. أما عن ظهور بنايتين على يمين التكوين وطريق إلى أقصى اليسار فتوحي بتواجد الإنسان ومعيشته في هذه المنطقة. (Ibid. Tate, 2021)

وبينما ينقسم العمل الفني إلى خمسة مستويات، نرى مستوى الأفق على الحد الفاصل للخُمس الأول من أسفل العمل، وتظهر الأرض بكل مكوناتها من نباتات وحشائش في هذا الجزء بدرجات متشبعة من اللون الأخضر وجذوع الأشجار بدرجات اللون البني الدافئة. أما نحو الخُمس الأول والثاني من أعلى العمل الفني، فنرى تكاثف فروع الأشجار على أبعاد مختلفة لتخلق كتلة هشة لها خط يتمايل بنعومة وديناميكية هادئة مثل حركة أسراب الطيور المهاجرة في اختلاف الفصول. ثم تظهر مثل هذه الحالة الخطية مرة أخرى أسفل تلك الكتلة في مركز اللوحة، كحدود لشكل هرمي مكون من تشابك أكثر كثافة من الفروع المتباينة بدرجات الأخضر والدرجات الوردية، فتقوم بالرد على حدة سطحي المنزلين المجاورين من ناحية، وتضفي حالة من القدسية مع النظر إلى السماء الباردة التي تحيط بكل مكونات العمل الموجودة أعلى خط الأفق.

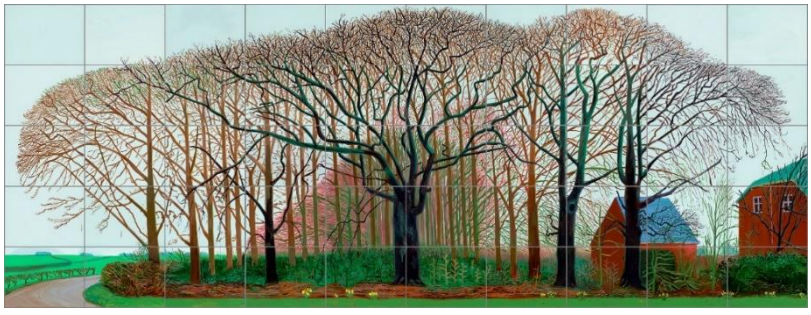

شكل (١٢): «هوكني»، أشجار أكبر بالقرب من وارتر، ٢٠٠٦م، ألوان زيتية على قماش، خمسون قطعة، كل منها (٤,٩١ × ٩,١٢١) سم، وإجمالي (٢,٤٥٧ × ٢,١٢١٩) سم. (Ibid. Tate, 2021)

jaars.journals.ekb.eg
حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

ابتكر «هوكني» هذا العمل الفني للمعرض الصيفي للأكاديمية الملكية لعام ٢٠٠٧م، حيث احتلت اللوحة جدارا كاملا في (جاليري رقم ٣)، وهو العمل الوحيد الذي ظل مكانه بعد انتهاء العرض، ثم تم إضافة جدار متجاور للعمل الفني من الناحيتين، مثبت عليهما نسختين من الفوتوغرافية الرقمية لنفس العمل الفني بنفس الحجم، ليثير لدى المشاهد شعورا بالانغماس الكامل في حالة العمل. بنفس الطريقة بعد ذلك بعامين، تم عرض اللوحة في (تايت مودرن Tate Modern)، حيث تبرع «هوكني» بالعمل الفني وقال «فكرت، إذا كنت أرغب في إعطاء شيء إلى الـ (تايت)، فيجب أن يكون شيئا جيدا. لأن الصورة ستُعلق هنا لفترة طويلة. لا أريد أن أقدم شيئا لست فخورا به».(Sidelnikov, 2017)

ثم ننتقل لعرض تجربة الفنان الأمريكي المعاصر «تشارلز جاينز/ Charles Gains» (مواليد ١٩٤٤م)، ولد الفنان في مقاطعة (تشارلستون) بولاية (ساوث كارولينا)، ويعد من الشخصيات المحورية في مجال الفن المفاهيمي الوقت الراهن. بدأ الفنان حياته المهنية كمصور ثم حصل على ماجستير الفنون الجميلة من (كلية الفنون والتصميم) التابعة لـ(معهد روتشستر للتكنولوجيا) في عام ١٩٦٧م. خلال سبعينيات القرن العشرين، تحول فن «جاينز» بشكل كبير استجابة لما أطلق عليه لاحقا بالصحوة، حين ابتكر أسلوبا منهجيا جديدا تشكل لأول مرة في سلسلة أعمال فنية تسمى (الانحدار Regression) (١٩٧٣ – ١٩٧٤م)، حيث استخدم أنظمة رياضية ورقمية لإنشاء علامات مرقمة على شبكة، مع بناء كل رسم على حسابات الأخير الذي يسبقه؛ وسيستمر الفنان بإتباع هذا المنهج إلى العقود اللاحقة من رحلته الفنية. يقدم الفنان من خلال تلك الصيغ والأنظمة في أعماله العلاقات بين العوالم الموضوعية والذاتية، ويلعب مفهوم سياسات الهوية دورا مركزيا يهدف من خلاله معالجة قضايا العرق بطرق تتجاوز حدود المحاكاة. تقاعد «جاينز» مؤخرا من كلية (كال آرتس/ CalArts) للفنون بـ (لوس أنجلوس)، حيث كان ضمن أعضاء هيئة التدريس لأكثر من ثلاثين عاما وقام بتأسيس برنامج زمالة لتقديم المنح الدراسية المدعومة للطلاب ذوي البشرة السمراء للحصول على درجة الماجستير في الفنون الجميلة. (“Charles Gaines - Hauser & Wirth,” 2023).

خلال الفترة من ٢٦ يناير وحتى ١ أبريل ٢٠٢٣م، تم عرض مجموعة جديدة من أعمال الفنان مشكلة من سبعة عشر عمل فني في معرض (الأشجار الجنوبية) المقام في قاعة (هاوزر وويرث Hauser & Wirth) بنيويورك. وفيها قام الفنان بعمل سلسلة من اللوحات لأشجار البقان البالغة من العمر مئة وخمسون عاما التي تم تصويرها ضوئيا خلال زيارته إلى مزرعة (بون هول) في مقاطعة (تشارلستون) في موقع ليس بعيدا عن مسقط رأسه. من تلك المجموعة، يوجد سلسلة من ثمانية أعمال تشكل كل منها مجموعة ثلاثية؛ وتحتوي على ثلاث عناصر رئيسية وهي: صورة ضوئية بالأبيض والأسود لشجرة البقان مطبوعة على ورق على اليسار، وصورة ظليه سوداء لتلك الشجرة مرسومة بالحبر الأسود على ورق شبكي في المنتصف، وأخيرا صورة لنفس الشجرة تم نقلها عن الصورة الظليه وترجمتها إلى نقاط مربعة بالألوان المائية على ورق شبكي مرقم على اليمين. (Behringer, 2023).

شكل (١٣): «جاينز»، المجموعة الثالثة من سلسلة (أشجار البقان)، ٢٠٢٢م، إجمالي مقاس المجموعة: ٧٠,٨ × ١٨٧ × ٥,١ سم. (“Charles Gaines - Southern Trees - Hauser & Wirth,” 2023)

ما يميز الجزء الأخير من سلسلة (أشجار البقان)، ٢٠٢٢م، شكل (١٣)؛ أن الثلاثية تتكون بشكل متسلسل ومتراكب من الأشجار الثمانية التي تم عرضها في كل ثلاثية على حده واحدة تلو الأخرى، أي في المجموع الثلاثية الأولي يوجد شجرة من طبقة لونية واحدة فقط، وفي المجموعة الثانية يوجد طبقة لونية للشجرة الأولى وفوقها طبقة لونية أخرى للشجرة المصورة في المجموعة الثانية. أما في المجموعة الثالثة، عام ٢٠٢٢م، يوجد طبقتين لونيتين للشجرة الأولى وفوقها الشجرة الثانية من

jaars.journals.ekb.eg

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

المجموعة الثانية كخلفية مضاف عليها طبقة لونية ثالثة للشجرة المصورة في المجموعة الثالثة. فالفنان يجلب الصورة إلى السطح عن طريق طباعة تفاصيل مكبرة لأحدث شجرة في المجموعة مضافة على سطح زجاجي وشبكي، ويسلط الضوء على تفاصيلها التركيبية وألوانها المتناقضة بينما يحجب الشبكات المرقمة الملونة المرسومة تحتها. يهدف الفنان إلى إزالة ذاتيته عن طريق اتباع مجموعة من القواعد والإجراءات المحددة التي من خلالها يشكك في كل من الطبيعة الموضوعية للأشجار وما يشابهها من الطبيعة التعسفية للأنظمة البشرية في مجتمعه الامريكي مثل السياسة، والجنس، والعرق، والطبقة الاجتماعية.

أما عن التجربة الأخيرة، فهي للفنان المصري المعاصر «عمرو فكري/ Amr Fekry» (مواليد ١٩٧٨ في القاهرة). حصل الفنان على درجة بكالوريوس التصوير من (كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان) عام ٢٠٠١م. الفنان له ممارسات فنية مميزة ومختلفة في الفنون التشكيلية، والتمثيل، والإخراج. (قطاع الفنون التشكيلي، ٢٠٢٤م). كانت الأشجار أحد عناصر التي لجأ إليها الفنان في مشروعه تحت رعاية المؤسسة الثقافية السويسرية (بروهلفتسيا/ Prohelvetsia) في القاهرة، تحت عنوان (قدس الأقداس – رحلة بحث تشكيلية عن منبع الحكمة الإلهية في أربعة فصول). قدم الفنان في الفصل الرابع المسمى بـ (بصير الملائكة) مفاهيم من التراث الصوفي من خلال صور فوتوغرافية للقطات من الأشجار مركبة بأسلوب مماثل للانعكاسات السيمترية الناتجة عن أداة (المشكال/ Kaleidoscope). (ع. فكري، مقابلة شخصية، ٢٦ سبتمبر، ٢٠٢٣)

هذه الأداة تنتج صورا تقوم على تقنية دمج الصور المنعكسة وتكرارها من على مجموعة مسطحات عاكسة المصنوعة من شرائح المرايا أو العدسات، وتتقابل مع بعضها البعض من الحواف مما يخلق محورا قاسما بين كل صورة وانعكاسها. وفي بعض الأحيان تنشئ هذه الأداة أنماطا (كسورية/ Fractal)، متماثلة وديناميكية بصريا عند النظر من خلالها مع تدوير الشرائح العاكسة. اعتمادا على هذا الأسلوب وتأثيره البصري، قرر الفنان التقاط صور ضوئية للأشجار، ثم قام بمعالجتها رقميا لتبدو في صورة متغيرة عن طريق عكس وتكرار عناصر الأشجار من فروع وأوراق داخل كل عمل فني منهم. نتج عن تلك الانعكاسات المجزأة للأشجار أنماط معقدة في التراكيب المجردة والمتماثلة.

اختار الفنان هذا الأسلوب الفني لتمثيل بعض السطور من متون الحكيم «تحوت» في مصر القديمة، وهي «لقد صنع الصانع الإنسان ليشاركه الحكم، وإذا قبل الإنسان هذا العهد بالكامل، صار مصدرا للنظام في العالم. قد يعرف الإنسان ذاته، فيعرف الكون بالوعي لأنه صورة للإله وصورة للكون»، ٢٠٢١م، شكل (١٥). (عمرو فكري، ٢٠١٢). فإلى جانب تشابه هذه الأنماط مع الأنماط الهندسية للتوريق في الفن الإسلامي وتأثيرها الساحر، فربما أيضا يتشابه مع الإدراك البصري لدراويش المولوية عند الدوران وهم يتأملون تجلي قدرة الخالق في الطبيعة. لقد كان اختيارا ناجحا للغاية لتمثيل مثل هذا المفهوم الروحاني بشكل يمزج تفتيت الصورة الواقعية للأشجار وهي تمثل الحياة المادية على الرض، لتتحول إلى صورة تجريدية تمثل الميتافيزيقية اللامتناهية للسمو الروحاني نحو السماء. وهكذا يمكن اعتبارأنه مع تقدم الفن الرقمي، تمكن الفنانين من تقديم وجهات نظر وتجارب جديدة لتمثيل الأشجار وبيئاتها، مما ففتح عالما جديدا من الاحتمالات الفنية والبصرية.

شكل (١٥): «فكري»، فنون رقمية، ٢٠١٢ . (نفس المرجع، عمرو فكري، ٢٠١٢).

٤. نتائج البحث

يصف «ليوناردو دافنشي» القوة النشطة التي تتخلل كل الطبيعة بـ (روح النمو)، ويسبقه الفلاسفة بتسميتها (روح نبات)، لكن مع التهديدات العالمية المستمرة للبيئة، كان يجب على الفنانين المعاصرين الاستمرار في ابتكار أساليب وتقنيات ابداعية لتقديم موضوعات تخص الأشجار، لتذكرنا بجمال وأهمية وجود الأشجار في هذا العالم. فالفن لا يقتصر على الصور الجمالية فحسب، بل يلعب أيضا دورا حيويا في تشكيل علاقتنا بالطبيعة عامة وبالأشجار خاصة، ويمنحنا فرصة لتقدير أهميتها

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

في حياتنا. كما يقوم الفنانون بلفت الانتباه إلى تأثير النشاط البشري على المجتمع والبيئة من خلال أعمالهم الفنية التي تساهم في زيادة الوعي بالقضايا المختلفة، مثل تسليط الضوء على النظم السياسية والاجتماعية، وعلى تأثير إزالة الغابات أو عواقب تغير المناخ على الموائل الطبيعية، مما يسمح لنا بإجراء المناقشات التي تساعد على إيجاد حلول واتخاذ التغييرات اللازمة للحفاظ على حالة من التوازن.

٥. التوصيات والمقترحات

توصي الباحثة بعمل أبحاث عملية تتناول عنصر الشجرة عن قرب في أطر أخرى غير المناظر الطبيعية، مع ابتكار أساليب فنية جديدة تساهم في تنمية الوعي البيئي لدى جميع أطراف المجتمع ودمجها في كل الفروع المعنية، لأهمية ذلك في الحفاظ على صحة الفرد والكائنات الحية من حوله في علاقة تبادلية من جهة، وتوكيد الشعور بانتماء الفرد لبلاده وللعالم الأكبر الذي ينتمي إليه من جهة أخرى من خلال الحفاظ على هويته البيئية.

٦. المراجع

Albrech, Glenn A., 2018. Retrieved August 13, 2023, from “Solastalgia: The Definition and Origins | Psychoterratica”. https://glennaalbrecht.wordpress.com/2018/12/17/solastalgia-the-definition-and-origins/.

Alexandregallery.com. “Lois Dodd - Artists & Work - Alexandre Gallery,” 2013. Retrieved February 17, 2024, from https://www.alexandregallery.com/artists-work/lois-dodd#tab:slideshow;tab-1:thumbnails.

Alexandregallery.com. “Lois Dodd - Natural Order - Exhibitions - Alexandre Gallery,” 2023. Retrieved February 17, 2024, from https://www.alexandregallery.com/exhibitions/lois-dodd20#tab:thumbnails;slide:6.

Being With Trees, “The Arborealists,” The Arborealists, March 4, 2021. Retrieved February 17, 2024, from https://www.arborealists.com/exhibitions/being-with-trees-gibraltar.

Behringer, David., 2023, February 21. Retrieved February 17, 2024, from Charles Gaines’ Colorful Pixelation of Southern Trees. Design Milk. https://design-milk.com/charles-gaines-colorful-pixelation-of-southern-trees/

Charles Gaines - Hauser & Wirth. (2023). Retrieved February 17, 2024, from Hauser & Wirth website: https://www.hauserwirth.com/artists/21845-charles-gaines/

Charles Gaines - Southern Trees - Hauser & Wirth. (2023). Retrieved February 17, 2024, from Hauser & Wirth website: https://www.hauserwirth.com/hauser-wirth-exhibitions/48355-charles-gaines-southern-trees/

Cobden, Lara. “Irving Contemporary.” Irving Contemporary, 2014. Retrieved February 17, 2024, from https://www.irvingcontemporary.com/lara-cobden-incantations-of-light.

Cobden, Lara. “The Arborealists.” The Arborealists, 2014. Retrieved February 17, 2024, from https://www.arborealists.com/lara-cobden.

Dcmooregallery.com. “Claire Sherman: Intuor - - Exhibitions - DC Moore Gallery,” 2022. Retrieved February 17, 2024, from https://www.dcmooregallery.com/exhibitions/claire-sherman-intuor.

Gerhard-richter.com. “Trees in a Field [656-2]» Art» Gerhard Richter,” 2021. Retrieved February 17, 2024, from https://gerhard-richter.com/en/art/paintings/photo-paintings/landscapes-14/trees-in-a-field-7657.

Higgins, C. (2008, April 7). Hockney’s big gift to the Tate: a 40ft landscape of Yorkshire’s winter trees. Retrieved January 7, 2024, from the Guardian website: https://www.theguardian.com/artanddesign/2008/apr/08/art

Islamic Arts Magazine. “Egyptian Art Today,” 2013. Retrieved February 17, 2024, from https://islamicartsmagazine.com/magazine/view/egyptian_art_today/.

Joan Mitchell Foundation. “Joan Mitchell: Trees,” 2020. Retrieved February 17, 2024, from https://www.joanmitchellfoundation.org/joan-mitchell/exhibitions/joan-mitchell-trees.

Jones, Ann. “Through the Trees.” IMAGE OBJECT TEXT. IMAGE OBJECT TEXT, March 11, 2012. Retrieved February 17, 2024, from https://imageobjecttext.com/2012/03/11/through-the-trees/.

Jung-hwan, An. “Silent Woods No.43.” Mutualart.com. An Jung-hwan | Silent Woods No.43 (2009) | MutualArt, December 10, 2010. Retrieved February 17, 2024, from https://www.mutualart.com/Artwork/Silent-Woods-No-43/989D0B8A26D3A19F.

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS

Kerry Harding. “About - Kerry Harding,” April 22, 2021. Retrieved February 17, 2024, from https://kerryharding.co.uk/about/.
Kunsthalle-duesseldorf.de. “Bäume / Trees,” November 30, 2019. Retrieved February 17, 2024, from https://www.kunsthalle-duesseldorf.de/en/exhibitions/baeume-trees/.
Lewis, Janet. (2018). In the Room With Climate Anxiety. Psychiatric Times, 35. Retrieved February 17, 2024, from https://www.psychiatrictimes.com/view/room-climate-anxiety
Mitchell, Joan. “PRESS RELEASE.” Retrieved February 17, 2024, from https://www.joanmitchellfoundation.org/uploads/pdf/EXH-Cheim-Read-Mitchell_Joan_Press_Release_5_15_14.pdf.
Pan, Luomin, and Heonyong Jung. “The Power of Photographs in Richter’s Paintings - The Essence of Photographs and the Representation of Paintings.” International Journal of Advanced Culture Technology 9, no. 1 (March 31, 2021): 105–13. doi:10.17703/IJACT.2021.9.1.105.
Schoene, Berthold. “Arborealism, or Do Novels Do Trees?,” Textual Practice, 2022, https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/0950236X.2021.1900379.
Sidelnikov, Eugene. Arthive. “Tall Trees near Warter, 2007, 1220×460 Cm by David Hockney: History, Analysis & Facts,” 2017. Retrieved February 17, 2024, from https://arthive.com/davidhockney/works/380587~Tall_trees_near_Warter.
Simard, Suzan, 2021. Finding the Mother Tree". Retrieved August 13, 2023 from https://suzannesimard.com/finding-the-mother-tree-book/?doing_wp_cron=1691924772.5933210849761962890625.
Tate. (2021). ‘Bigger Trees Near Warter Or/Ou Peinture Sur Le Motif Pour Le Nouvel Age Post-Photographique ‘, David Hockney, 2007 | Tate. Tate. Retrieved February 17, 2024, from https://www.tate.org.uk/art/artworks/hockney-bigger-trees-near-warter-or-ou-peinture-sur-le-motif-pour-le-nouvel-age-post-t12887#:~:text=Bigger%20Trees%20Near%20Warter%20is,together%20to%20form%20a%20whole.
The Arrival of Spring in Woldgate, East Yorkshire in 2011 (twenty eleven) (L’Arrivée du printemps à Woldgate, East Yorkshire en 2011 (deux mille onze)) - Centre Pompidou. (2018). Retrieved January 7, 2024, from Centre Pompidou website: https://www.centrepompidou.fr/en/ressources/oeuvre/cBrrkyy
The David Hockney Foundation: 2011. (2019). Thedavidhockneyfoundation.org; The David Hockney Foundation. Retrieved February 17, 2024, from https://www.thedavidhockneyfoundation.org/chronology/2011
Retrieved February 17, 2024, from The KAZoART Contemporary Art Blog. “Art in a Minute: Peter Doig - the KAZoART Contemporary Art Blog,” March 21, 2019. https://www.kazoart.com/blog/en/art-in-a-minute-peter-doig/.
The Zenbalist. “These Stunning Hyperrealistic Paintings of Nature Look like Incredibly Detailed Photographs.” Illuzone, May 23, 2022. Retrieved February 17, 2024, from https://illuzone.net/hyperrealistic-paintings-of-nature-look-like-detailed-photographs/.
“Untitled (Tree 1) | Guggenheim Museum Bilbao,” Guggenheim-bilbao.eus, 2013. Retrieved February 17, 2024, from https://www.guggenheim-bilbao.eus/en/learn/schools/teachers-guides/untitled-tree-1.
بانسيه أحمد، مقابلة شخصية عبر صفحتها الرسمية على تطبيق (إنستاجرام)، (https://www.instagram.com/pance___ahmed/) في ١ أغسطس ٢٠٢٣.
عمرو فكري، ١٧ فبراير ٢٠٢٤. قطاع الفنون التشكيلية، https://www.fineart.gov.eg/arb/cv/cv.asp?IDS=4815
عمرو فكري، مقابلة شخصية، ٢٦ سبتمبر، ٢٠٢٣.
عمرو فكري، ٢٠١٢. قدس الأقداس – رحلة بحث تشكيلية عن منبع الحكمة الإلهية في أربعة فصول، الفصل الرابع (بصير الملائكة). القاهرة، مصر: المؤسسة الثقافية السويسرية.

حقوق النشر ٢٠٢٤ © | لمجلة JAARS